به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

أ. الشيخ مصطفى ملص
عضو تجمع العلماء المسلمين

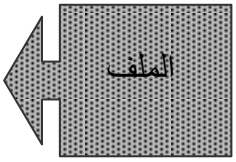

قراءة في مفهوم الوحدة من حيث التأصيل والتحديات المناهضة

الشهيد الثاني

نموذجاً

المفهوم:

الوحدة الإسلامية هي الحقيقة التي أراد الإسلام اثباتها لاتباعه عندما اختار لهم أن يكونوا أمة واحدة من دون بقية الناس، تجمعهم الكلمة المعبرة عن عقيدتهم، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. والاختلاف بين أبناء الأمة لا يجعل منهم امتين أو أكثر مهما بلغ شأن هذا الخلاف. قد يحولهم ذلك إلى فئتين أو طائفتين، ولكن ضمن الكيان الواحد للأمة. وقد عبر القرآن

به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

الكريم عن هذا المفهوم بقوله تعالى:"وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيءَ إلى أمر الله، فإن فاءَت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين" صدق الله العظيم

وجاءت الأحاديث النبوية المنقولة الينا لتؤكد على وحدة الأمة، وعلى وجوب وضع حد لكل ما يمكن أن يشكل ظاهرة انقسامية حتى ولو كان الأمر على صعيد السياسة والإدارة، "قال(ص): "إذا بويع لخليفتين فاضربوا عنق الآخر". وفي ذلك دليل واضح على وجوب الحزم في التصدي لظاهرة الانقسام ولو وصل الأمر إلى حد استعمال السيف أو العنف.

فخطاب المولى عز وجل لجماعة المسلمين بأنهم أمة، ورابطهم هو الإيمان بالله ورسوله، ولو اختلفت ألوانهم وأعراقهم وبلدانهم وألسنتهم ومذاهبهم، قد رسخ في وعيهم وثقافتهم مفهوم الوحدة في ما بينهم، فلا تجد داعية من كل الدعاة الذين حملوا لواء الاسلام على مر الأزمان إلا وهو يؤكد على مبدأ الوحدة بين أبناء الأمة، مع التباهي بأنها ضمت بين جناحيها الأعراق كافة منذ انطلاقتها

به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

فدخل فيها الحبشي والرومي والفارسي والعربي، ولم يتوقف تمدد الإسلام بين الأعراق إلى يومنا هذا. إنه الدين المنفتح على الناس جميعًا. إنها الأمة الأغنى تنوعاً بشرياً.

إن الإسلام بما هو عقيدة و شريعة حاضنة انسانية تعطي الناس حرية التمايز بالخصوصيات الانسانية، فلا يُضَيّق عليهم في مجال من المجالات إلا بالحدود التي تكفل صيانة العقيدة وعدم الاجتراء على الشريعة، وهذا يكفل اليسر في مسألة الوحدة بحيث لا يشعر أحدٌ ممن ينتسب إلى هذه الأمة بالغربة فيها أو أنه مستلب، بل يشعر بلذة الانتماء إليها والفخر بهذا الانتماء.

الشعار:

ليست الوحدة الاسلامية مجرد مفهوم فقط، بل إنها شعار يرفع لواءَه كل من يتصدى للشأن العام في أمتنا، وتكاد تجد اجماعاً على هذا الشعار، وإن كان البعض ممن لا ينكرون أحقية الشعار يمارسون نقيضه في أعمالهم وأقوالهم، ويبررون ذلك بأنهم يلتزمون القيود المحددة للإيمان بحسب ما يفهمون

الايمان ومقتضياته، وهذه القيود في معظمها مجرد فهم بشري للنصوص الشرعية ليس إلا. وإذا عرضنا هذا الفهم على مسيرة المصطفى (ص) نجد أنه متناقض مع هذه السيرة وما سلكه النبي (ص) مع الناس في زمنه: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".

وهذا ما نسمِّيه بالمنهج التكفيري، الذي تعاني منه امتنا اليوم أشد المعاناة. كما عانت منه في السابق، وما آل إليه مصير العالمين الكبيرين وهما الشهيدان الأول: محمد بن مكي الجزيني، والثاني: الشيخ زين الدين الجبعي، إلا نتيجةً لهذا المنهج التكفيري الذي أودى على مر التاريخ الإنساني بكثير من العلماء والدعاة والمصلحين.

الشهيد الثاني المثال الوحدوي:

من المعروف أن أهم أسباب تفرق أبناء الأمة هو الخلاف السياسي حول مسألة الحكم والخلافة. وقد كانت البداية منذ اجتماع السقيفة؛ سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة لرسول الله (ص) في الحكم، لقد أسس ذلك الاجتماع لصراع ما زالت رحاه دائرة إلى

اليوم، تثور مرة وتخبو أخرى، ولكنه موجود وآثاره ظاهرة إلى يومنا هذا لأن كل ما تلاه انما يعود إليه بشكل من الاشكال.

وتطور الأمر بقيام معاوية بن أبي سفيان بنقض أسس الخلافة الراشدة عندما حول الحكم إلى ملك عضوض كانت فاتحته تولية يزيد الحكم وما نجم عن هذا الأمر من مسار مأساوي، كانت قمته باستشهاد الامام الحسين عليه السلام، ووقوع الشرخ الذي عمل الحكام والسلاطين على توسيعه وتأصيله على مر العصور، مما أوجد شريحة من المسلمين جعلت كلَّ همِّها هو نبذ الآخر من بين صفوف الأمة.

ولكن وبما أن الأمة واحدة بنص كتاب ربها وسنة نبيها (ص)، وبما قدمه أهل البيت(ع) من نموذج رائع لوحدة الأمة وتمسكهم بها رغم الظلم الكبير الذي أصابهم على أيدي الحكام الظالمين، وذلك منذ الامام علي كرم الله وجهه واستمرار لذلك في الأئمة من ذريته.

ولو سلك أئمة أهل البيت (ع) سلوكاً آخر لانتهت وحدة الأمة، ولسقط مفهومها وشعارها. لذلك يعود اليهم الفضل في تكريس مفهوم الوحدة، وحدة المسلمين كأمة لها مرجعية واحدة، كتاب الله وسنة نبيه محمد (ص).

على خطى أئمة أهل البيت (ع) سار الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي الجبعي.

ومن خلال ما اطلعنا عليه من سيرة هذا العالم الجليل نجد أنه أسس على مفهوم الوحدة، وأن الدين واحد، وأن العلم مبثوث بين أبناء الأمة على اختلاف مناهجهم ومدارسهم ومذاهبهم.

فبعد أن تلقى أسس العلوم الشرعية على والده الشيخ علي الجبعي ارتحل يطلب العلم في ميس وكرك نوح، ثم عاد إلى جبع يشتغل بالعلم والمذاكرة حتى سنة 937هـ.

ثم انتقل إلى دمشق، وهناك يقول إنه قرأ على المحقق الشيخ شمس الدين بن مكي كتب الطب والفلسفة والحكمة.

وقرأ على الشيخ أحمد بن جابر الشاطبية في علم القراءَات وقرأ القرآن بقراءة نافع وابن كثير وابي عمرو وعاصم.

وفي عام 942 هـ يقول أنه رحل إلى مصر لتحصيل ما أمكن من العلوم، "واجتمعتُ في تلك السفرة بجماعة كثيرة من الأفاضل منهم الشيخ شمس الدين أبن طولون الدمشقي الحنفي وقرأت عليه جملة من الصحيحين واجازني في روايتهما مع ما يجوز له روايته. ومنهم

الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي وقرأت عليه منهاج النووي في الفقه، وأكثر مختصر الأصول لابن الحاجب، وشرح العضدي مع مطالعة حواشيه، منها السعدية والشريفية.

وسمعت عليه كتبا كثيرة في الفنون العربية والعقلية ... ومنها شرح الشيخ المذكور لورقات إمام الحرمين الجويني في أصول الفقه ومنها أذكار النووي وبعض شرح الجوامع المحلّى في أصول الفقه وتوضيح ابن هشام في النحو.

ومنهم الملاحسين الجرجاني والملاّ محمد الاسترابادي والملا محمد الليلاتي والشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي ومنهم الشيخ أبو الحسن البكري والشيخ المحقق ناصر الدين اللقاني المالكي الذي قال فيه الشيخ الجبعي: (لم أر بالديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية، سمعت عليه البيضاوي في التفسير).

ومنهم الشيخ ناصر الدين الطبلاوي الشافعي الذي قرأت عليه بقراءة ابن عمرو ورسالة في القراءات من تآليفه.

ومنهم الشيخ شمس الدين محمد بن ابي الذجا الذحاس، والشيخ الفاضل الكامل عبد

الحميد السمهوري، والشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر الفرضي الشافعي.

ثم انتقل بعد ذلك من مصر إلى الحجاز الشريف سنة 943، ثم بعد عودته إلى موطنه الأول سافر إلى العراق لزيارة الأئمة عليهم السلام، وانتهى به المطاف في بيت المقدس حيث يقول أنه اجتمع فيها بالشيخ شمس الدين بن أبي اللطف المقدسي وقرأ عليه بعض صحيح البخاري وبعض صحيح مسلم وأجازه إجازة عامة.

إذن لم يكتفِ الشهيد الثاني بما تلقاه من علوم على يد علماء المذهب الاثني عشري، بل قصد علماء المذاهب الأخرى في مختلف البلدان من دمشق إلى مصر إلى الحجاز وبيت المقدس، وقرأ عليهم في مختلف العلوم من علم القراءات إلى الفقه والسيرة والحديث وعلوم اللغة العربية والمنطق والرياضيات والفلسفة والهندسة والطب، ومن اجتمعت له معرفة بهذه العلوم جميعها كان موسوعياً بحق.

وتبين من رحلته إلى اسطنبول في تركيا حيث دار الخلافة انه كان قد بلغ المرتبة العليا في طريق العلم والمعرفة، إذ ما أن

عرف أصحاب القرار بسعة علمه حتى عرضوا عليه المناصب فاختار أن يكون له مركز بعلبك في بلاد الشام مركزاً ينشر فيه علمه حيث لم يقتصر نشاطه على مذهب واحد بل أنه يقول:" واتفق وصولنا إلى البلاد منتصف شهر صفر سنة 953 (...) ثم اقمنا ببعلبك ودرَّسنا فيها المذاهب الخمسة، وكثيرٍ من الفنون وصاحبنا أهلها على اختلاف آرائهم أحسن صحبة، وعاشرناهم أحسن عشرة، وكانت أياماً ميمونة، وأوقاتاً بهجة، ما رأى أصحابنا في الأعصار مثلها.

لقد جسد الشيخ الجبعي كما رأينا من خلال ما كتب الوحدة الاسلامية تجسيداً حقيقياً صادقاً.

لقد جسدها وهو يحصّل العلوم من مصادرها بغض النظر عن الاختلاف في المذاهب ورؤيتها لبعض المسائل، حيث لم تؤثر تلك الاختلافات عليه في تلقي العلم والمعرفة، وفي الإقرار لأهل الفضل بفضلهم وللمتميزين بتميزهم.

ثم نراه بعد ذلك يجسدها عندما زار عاصمة دولة الخلافة وقبل أن يتولى المنصب الديني بتوليتها إياه له، وهذا بحد ذاته موقف وحدوي قل نظيره فيما نعلم.

وجسده في قيامه بوظيفته في بعلبك في المدرسة النورية حيث درّس الناس وأفتاهم على مذاهبهم الخمسة فأحبوه جميعاً واحبهم واجتمعوا حوله في صورة رائعة كما يقول هو نفسه إذ وصفها بأنها أحسن صحبة وأحسن عشرة وكانت أياماً ميمونة.

ويتحدث تلميذه ابن العودي عن تلك المرحلة فيقول:" كنت في خدمته في تلك الأيام، ولا أنسى وهو في أعلى مقام، ومرجع الأنام، وملاذ الخاص والعام يفتي كل فرقة بما يوافق مذهبها ويدرس في المذاهب كلها، وكان له في المسجد الأعظم بها درس مضافاً إلى ما ذكر. وصار أهل البلد كلهم في انقياده، وأقام سوق العلم بها على طبق المراد، ورجعت إليه الفضلاء من أقاصي البلاد ورقى ناموسُ السادة والاصحاب في ازدياد، وكانت عليهم تلك الأيام من الأعياد". الدر المنثور: 182/2.

يدلنا هذا النص على تجربة عالم وحدوي علم استطاع أن يجسد نموذج الوحدة الاسلامية بحيث صار محل قبول عند جميع المسلمين يثقون بعلمه وحكمته وورعه وتقواه إذ لا يكفي العلم وحده ليحظى العالم بمحبة الناس

واحترامهم بترؤسه عليهم، وذلك كله من توفر عنصر الثقة الذي عماده التقوى والورع وقد استطاع هذا العالم المتصف بهذه الصفات أن يؤسس مجتمع الوحدة الإسلامية لفترة من الزمن.

إن تجربة الشيخ زين الدين الجبعي في بعلبك لم ترق على ما يبدو للبعض من أصحاب النفوذ والأغراض لذلك عملوا على وضع حد لها بالطرق التي أدت إلى أن يترك الشيخ الجبعي بعلبك ومدرستها النورية وجامعها الأعظم وأن يعود إلى بلدته جبع ليعيش فيها حياة من نوع آخر كما يقول في ختام مذكراته:"ثم انتقلنا إلى بلدنا بنية المفارقة واقمنا في بلادنا إلى سنة خمس وخمسين مشتغلين بالدرس والتصنيف".

وقد علق تلميذه ابن العودي على هذه الكلمات بقول:"و هذا التاريخ كان خاتمة أوقات الأمان والسلامة من الحدثان ثم نزل به ما نزل وسنقف عليه إن شاء الله إلى خاتمة الأجل" الدر المنثور: 2/182-183).

لقد تحولت حياته بعد ذلك إلى حياة أخرى فقد أصبح مطارداً وملاحقاً يعيش في تستر وتخف على مدى تسع سنوات إنتهت بالقبض عليه في

مكة المكرمة وبسوقه إلى مدينة استنبول حيث نفذ فيه حكم الطغيان بالإعدام ليتم وضع حد لتجربة نموذجية رائعة مَثَّلها عالم مسلم رفض أن يكون منغلقاً على نفسه ومذهبه وانفتح على مذاهب الأمة وعلمائها.

وهذه هي ثمار منهج التكفير على مر العصور، فساد وازهاق أرواح المؤمنين المخلصين العاملين، إنه المنهج الذي يضع نفسه في خدمة الحاكم حماية لعرشه من اصلاح المصلحين.

التحديات المناهضة لمشروع الوحدة في الأمة:

لم تكن التحديات المواجهة لوحدة الأمة يوماً اكثر مما هي عليه اليوم. كما أنها لم تكن قياساً بالمعطيات الزمنية السائدة أقل مما هي عليه اليوم.

فلطالما كانت سياسة فرق تسد هي الدستور الذي يلجأ إليه الطغاة لتفريق صفوف الناس عبر بث مشاريع الخلاف فيما بينهم واستحضار الوقائع التاريخية كعامل مساعد على ايغار الصدور وايقاظ الضغائن وهذا نهج مستمر إلى يومنا هذا.

والذي يزيد الأمور سوءاً هو وجود هذا الكم

الهائل من وسائل الإعلام التي تستعمل الفضاء لبث الحقد والضغينة والاختلاف والتنازع، وهذه الوسائل الفضائية والاذاعات المسموعة والمرئية تحرض على الكراهية والقتل مباشرة وصراحة دون مواربة او تمويه وهي تتمتع بحماية ورعاية حكومات ودول عربية واسلامية أو جهات سياسية أو اعتقادية فتؤمن لها مستلزمات استمرارها مادياً ومعنوياً.

ومع تحول الاعلام من ناقل للحدث إلى صناعته بكل ما للكلمة من معنى، صار الاعلام يصنع الحدث ويهيّئ له الظروف المناسبة لحدوثه، فلم يعد لدى الاعلام في ظل هذا الواقع أدنى مصداقية، فقد تحول إلى تجارة أو صناعة، في خدمة من يموّل ومن يدفع.

إن ظروف عالمنا الإسلامي من التعقيد بمكان حيث تتشابك خيوط الواقع المحلي الفاسد والمريض مع خيوط الواقع الاقليمي السيّئ، والواقع الدولي المتربص شراً بالإسلام والمسلمين.

وإن أخطر ما في الأمر هو هذا الواقع الإسلامي القابل للفتنة والمتعطش للخلاف والتفاخر لذلك نراه سريع الوقوع في حبائل شياطين الفتن الذين لايدعون مناسبة إلا

ويستغلونها لإيقاع الشر بالمسلمين وقضاياهم.

إننا في ظل انعقاد هذا المؤتمر التكريمي لعلمين من اعلام امتنا خاضا تجربتين قد لا تكونا متشابهتين لكنهما بالتأكيد انطلقا من قاعدة واحدة وانتهيا إلى مصير واحد. فقدما نموذجين للأمة واجيالها.

أقول اننا في ظل هذا المؤتمر وما تواجهه الامة من مؤامرات تهدف إلى انهاء الاسلام من الوجود كقوة حيّة وفاعلة وتحويله إلى مجرد ذيل وتابع خاضع، نجد أن من أهم أسباب منعتنا ومن عوامل قوتنا كمسلمين هو هذه الوحدة التي تجمع كلمتنا وتلم شعثنا وتجعلنا قادرين على المواجهة والتحدي لاعداء امتنا، الذين لم يعودوا موجودين خلف الحدود وانما اصبحوا في العواصم وداخل الأوطان. إن على المسلمين أن يتوقفوا عن استحضار السلبيات في تجربة أمتهم وان يستحضروا الايجابيات التي جعلت من هذا الدين الأقوى شعبياً في العالم.